أصول النقد الأدبي ومصادره في المنظور الإسلامي

أ.م.د حسن سالم هندي
جامعة الأنبار - كلية التربية للبنات

المستخلص

يسعى هذا البحث لإثبات مصادر للنقد الأدبي العربي ، بعد أن اعتمد نقدنا المعاصر كثيرا على المنجز النقدي الغربي ، مستعيرا ادواته ووسائله المنهجية ، دون أن يراعي خصوصية الادب العربي .

وقد كشف هذا البحث عن مصادر عديدة في تراثنا الاسلامي والعربي يمكن ان ترفد النقد بمصادر اضافية الى جانب الافادة من الدرس النقدي الغربي ومن هذه المصادر: القرآن الكريم ،وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ،والتراث النقدي العربي، ومقالات الاسلاميين المعاصرين، وجهودهم النقدية ،والجهود النقدية العالمية التي تتفق والتصور الاسلامي .وقد جاءت هذه الدراسة في مبحثين يسبقهما تمهيد بينت فيه على نحو موجز صورة النقد في المنظور الاسلامي ،وناقشت بعض إشكاليات النقد المعاصر، ثم كان المبحث الاول مبينا لأصول النقد ومصادره ،وليأتي المبحث الثاني على شكل محاولة لفحص هذه الاصول، وذلك بتطبيقها على جملة من القضايا النقدية منها المصطلح ودلالاته وقضية الشكل والمضمون وتاريخ الادب ثم خاتمة موجزة ضمت أهم النتائج التي تمخض عنها البحث ، ومن ثم قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

الكلمات الرئيسية: النقد الادبي العربي, مصادر النقد , الاسلام

Abstract

This research seeks to prove the resources and origins of lierary criticism be fore that our criticism depends a lot on the arabic criticism implementer using its tools and instruments curri cullum without taking into account the Arabic literature privacy.

This research discovers many resource in our Islamic and Arabic heritage which supplies the criticism with additional resources al nnabawi, the Arabic criticism heritage , the contemporary Islamic essays and their criticism efforts , the national criticism efforts which agree with Islamic perception. –this study comes in two researches preceding by a preface , ending in a conclusion which include the most important and results and a list with resources and references.
Key Words: Arabic Literary Criticism, Sources, Islam

المقدمة:

لم يتخل النقد العربي عبر مسيرته الطويلة عن التصور الاسلامي، الا في هذه المدة التي تمر بها امتنا بأكبر تحد يسعى الى اقصاء الدين الإسلامي عن الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والفكري، بل إقصائه من ميادين الحياة كلها ،وإبقائه حبيس المساجد والمجالس الخاصة ،في أحسن أحواله وأقصى درجاته ، وهذه النظرة هي انعكاس لنظرة الغرب للدين عملت على اثباتها أياد خارجية وداخلية منذ مرحلة الاستعمار المباشر وإلى الأن. واسهم في رسم هذا المسار- على نحو غير مقصود- بعض دارسي الأدب ونقاده من المعاصرين الذين توهموا بظواهر النصوص التراثية فيما يتعلق بموقف بعض النقاد القدماء من قضية الدين والأدب كموقف الأصمعي وأبي بكر الصولي والقاضي الجرجاني ، فجاءت أحكام النقاد المعاصرين على بعض النصوص التراثية عشوائية ومشوشة تبعا لما توهموه من ظواهر هذه النصوص ، كحكم الدكتور عز الدين إسماعيل حول قضية الدين والشعر الذي يقول:"...والملاحظة التي وقف عندها النقد العربي ، وأصر في كل حالة على موقفه هي أن الفن القولي لا يمكن أن يعيش في كنف الدين أو الأخلاق ، وكأن الأهداف الدينية والأخلاقية لا تأتلف وطبيعته ، وكأن استهداف أوجه الخير تضعفه كما قال الأصمعي..."[١]" * وأن فترة ظهور الدين كانت فترة عارضة

[١] أسس الجمالية في النقد العربي- د:عز الدين إسماعيل عرض وتفسير ومقارنة- دار الفكر العربي-الطبعة الثالثة- ١٩٧٤ص١٨٣

في حياة هذا الشعر ما لبث أن تحول بعدها إلى مجراه الأول واتجاهه القديم ، فترك الدين والأخلاق ترك لهما ميدانهما ووقف بعيدا لا يكاد يتأثر بهما .....ولم يكن النقاد منعزلين عن الشعراء في موقفهم ، ولم يتخذوا من الدين والأخلاق أساسا يرفعون به شاعرا ويخفضون شاعرا أخر ، واستبعدوا الخيرية من ميدان الحكم النقدي" [١] ويرى بعض النقاد أيضا : إن الإسلام لم يكن له تأثير ايجابي على الأدب ونقده ويقصرون تأثيره على الميدان الشكلي والبلاغي [٢]، وإلى مثل هذا الرأي يذهب محي الدين صبحي [٣] وأكثر النقاد المعاصرين إتباعا لما فهموه من ظواهر النصوص التراثية النقدية عن قصد أو بدون قصد، أو تأثرا بالمذاهب النقدية الغربية ، ونظرتها إلى قضية الدين والأدب التي تعتمد أساسا على الفصل التام بين الأدب والدين ، بين الأديب ومعتقده وبين الدين والحياة، وتجلى ذلك في الثورة الفكرية الغربية على الكنيسة وتصوراتها، واضحى النقد المعاصر يُغيب من أحكامه النقدية - تبعا لمنطلقاته الفكرية – كل حكم يتعرض للشاعر من جهة الدين والأخلاق، فلا تثريب على الشاعر في ما يصدر عنه من هذا الباب، وربما هذا ما أغرى بعض شعراء الحداثة بالتجاوز على الذات الإلهية، وتقويض القيم والأخلاق حتى صارت هذه سمة بارزة في شعرهم، أما النقد المتمسك بالثوابت الدينية والأخلاقية فإنه يغرد خارج سرب النقاد المتميزين في منظور الفكر النقدي المعاصر، فقضية العلاقة بين الشعر والدين والأخلاق صارت بحسب رأيهم "سلاحا يشهره غير النقاد في وجه الشعراء، وأما النقاد فقد التزموا هذا الفصل

---

* هناك ثمة قول ينسب إلى الأصمعي ذكر في كتاب الموشح صفحة ٨٥يقول فيه: طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة.....واذا أدخلته في باب الخير لان" وللقاضي عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه قول في هذا الصدد أيضا:...فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى أسم أبي نؤاس من الدواوين ويحذف ذكره أذا عدت الطبقات... ولكن الأمرين متباينين ،والدين بمعزل عن الشعر " وكذلك ذهب الصولي الى هذا الرأي .
ويجب التنويه هنا أن أغلب النقاد القدماء اتخذوا موقفا مخالفا كعبد القاهر الجرجاني وابن بسام والقيرواني ، ثم أن قضية الفصل بين الشعر والدين والأخلاق لم تتجاوز الإطار النظري أما على مستوى الممارسة والتطبيق فلم يفصل أحد من النقاد بين الشاعر ومعتقده، ومن الجدير بالذكر أيضا أن هذا الأقوال جاءت في معرض الدفاع عن الشاعر من قبل بعض النقاد الذين اتهموا شاعرا مثل المتنبي بالزندقة.

[١] المصدر نفسه-١٨٣

[٢] المصدر نفسه-١٧٤

[٣] نظرية النقد الأدبي وتطورها إلى عصرنا- محي الدين صبحي- الدار العربية للكتاب – ليبيا – تونس١٩٨٤ص١١

على طول الخط" [١] وقد استدل النقاد المعاصرون على دعواهم هذه بأدلة من التراث النقدي العربي يفهم منها في حالة النظرة الجزئية المبتورة عن الإطار التاريخي والموقف الذي قيلت فيه بحتمية الفصل بين الدين والأدب ونقده.

ويبدو أن القراءة غير المتأنية ، والانقياد إلى الأحكام الاستشراقية المضللة ، ونظرتها المتحاملة هي المسؤولة عن تسلل فكرة عزل الدين عن ميدان الأدب ونقده ،وسائر ميادين الحياة الأخرى، وهذه صورة موهومة عن تراثنا إذ لم " يبتعد تراثنا النقدي عن العقيدة الإسلامية وأن نقادنا الأوائل – وكان فيهم المحدث والقارئ والقاضي – صوروا بتلقائية كاملة وعبروا عن عقيدتهم الإسلامية ، واهتموا بتطوير العمل الأدبي في ظل البلاغة القرآنية "[٢] وبقي النقد ينطلق من دائرة التصور الإسلامي دون أن يكون هناك ثمة تصادم بين الأدب والدين، ولم يكن الدرس النقدي مفصولا عن القرآن الكريم وعلومه وإعجازه ، فأراء النقد مبثوثة في كتب إعجاز القرآن وكتب البلاغة مثل مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء والبيان والتبيين للجاحظ ،التي تعد جهوده في دراسة البيان القرآني إضافة جديدة وكشفا غير مسبوق أفاد منه الدرس النقدي[٣] "فالأدب في نظر المسلم نشاط اسلامي واسهام من مسلم مبدع موهوب يستخدم الكلمة والعبارة بطريقة مؤثرة ولا مجال للمقارنة بين علاقة الدين بالآداب الاخرى، وعلاقة الاديب الاسلامي بالدين الاسلامي فالدين عند الأديب المسلم :هو منهج حياة كامل شامل ،يحدد علاقة الانسان بشؤونه الخاصة ونشاطاته العامة ،وسائر مجالاته التربوية والابداعية والثقافية والاجتماعية " [٤] ولكن بعد تقادم الزمان، وابتعاد الناس عن القرن المفضل قرن الوحي والقرآن ،وفتح الإسلام للأمصار والبلدان ودخول لناس فيه على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم، واختلاط المسلمين بكل أولئك أثروا وتأثروا، فشهد القرن الثالث والرابع للهجرة، ظهور تيارات فلسفية وكلامية لم تعهدها الساحة الإسلامية من قبل ، تزامن ذلك كله مع استشراف قضايا نقدية جديدة مثل قضية القديم والجديد ،الصدق والكذب، والسرقات الشعرية، والتعصب

[١] ينظر :نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا –محي الدين صبحي ص-١٧

[٢] مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد -أحمد الرافعي شرفي- دار ابن حزم- بيروت –لبنان - الطبعة الأولى- ٢٠٠٩-ص ٣٥

[٣] أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي – محمد زغلول سلام- مطبعة المعارف المصرية- القاهرة – الطبعة الأولى- ص-٩٩

[٤] الادب الاسلامي اصوله وسماته—محمد حسين بريغش –مؤسسة الرسالة بيروت –دمشق-الطبعة الثانية ١٤١٦هـ- ١٩٩٦ص ٧٨

لشاعر بعينه، وأثير من بين تلك القضايا أو بسببها موقف الدين و الأخلاق من الأدب ، وانقسم النقاد إزائها قسمين : قسم متمسك بموقف القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين في قبول الشعر الذي يتفق وروح الإسلام ويرفض ما سواه ،وتسقط قيمته الفنية في معيارهم النقدي لخروجهم على تعاليم الدين ، ويمثل هذا القسم ابن قتيبة ومسكويه والباقلاني وابن حزم وعبد القاهر الجرجاني وابن وكيع وابن بسام الشنتريني ، وقسم ثان متذبذب في أحكامه فهو من جانب يرى أن الشعر يضعف إذا دخل باب الدين والخير لان، ويرى أيضا أن الدين ينبغي ألا يكون مقياسا للحكم على الشعراء ، ومن جانب أخر فإن هذا القسم ينفر في تطبيقاته النقدية من شعر يخرج على قيم ومواصفات الأخلاق، ويمثله ابن المعتز ٢٩٦هـ وقدامه بن جعفر ٣٢٦هـ و أبو بكر الصولي ٣٣٥هـ والقاضي عبد العزيز الجرجاني ٣٩٢هـ [١] ويبدو أن الذي حملهم على القول بالفصل بين الشاعر ومعتقده -على مستوى التنظير- هو موقفهم الدفاعي عن الشاعر اتجاه خصومه من النقاد ،واتهام بعض الشعراء بالزندقة والخروج عند جادة الاسلام ، كما فعل القاضي الجرجاني في دفاعه عن المتنبي مثلا إذ يقول :"والعجيب ممن ينتقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة ،وفساد المذهب في الديانة "[٢] ..."فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ،لوجب أن يمحى اسم أبي نؤاس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية وممن تشهد الأمة عليه بالكفر ...." [٣] فموقف القاضي الجرجاني هنا شبيه بموقف الصولي ، فكلاهما يدافع عن شاعر أمام خصوم جاروا عليه ، فالذين انتقصوا من المتنبي انما استندوا الى ابيات معدودة ، وجدوا ما يدل فيها على ضعف عقيدته ، وتركوا شعراء غيره وقعوا فيما وقع فيه المتنبي ، ولم يرض الجرجاني عدلا في هذا التعميم ، كما أنه لم يسوغ الانحراف ومصادمة العقيدة، ولا قبول الشعر الذي يركن الى ذلك ،فهو يعقب على قوله السابق "ولسنا نذهب فيما نذكره مذهب الاحتجاج والتحسين ولا نقصد به قصد العذر والتسويغ ، وإنما نقول أنه عيب مشترك ، وذنب مقتسم ، فإن احتمل فللكل وإن

[١] النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته- نجوى صابر- دار العلوم العربية بيروت- لبنان –الطبعة الأولى ١٩٩٠ص -٦٧

[٢] الوساطة بين المتنبي وخصومه – القاضي عبد العزيز الجرجاني –تحقيق :ابو الفضل ابراهيم وعلي البجاوي –دار احياء التراث ط الثالثة ص ٦٣

[٣] المصدر نفسه ص ٦٤

رد فعلى الجميع "[١] . وواضح جدا أن القاضي الجرجاني يحسب ضعف العقيدة ذنبا وعيبا، ولكنه يرى أيضاً أن الانصاف يقتضي ان نقول: ان المتنبي ليس بدعا بين الشعراء فهناك غيره ممن جاء في شعره خوارم في العقيدة ،ولا يمكن بأي حال من الاحوال ان يفهم من كلام الجرجاني انه قال بفصل الدين عن الحياة والابداع ؛ كما يرى الدكتور محمود السمرة ، لأن الناس أنذاك كانت لا تحتكم الى الدين في سائر شؤونها كما يظن متوهما" وليس من العسير علينا أن ندرك السبب الذي جعل الجهر بهذا الرأي دون حرج ، فالحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان الادب مرآة لها في هذا العصر تؤكد ايمان القوم بالفصل بين الأدب والدين "[٢] ثم يقول :"ولا يخمرنا شك في ان القوم في هذا العصر لم يدهشوا لهذا الرأي الذي يصدر عن قاضي القضاة ؛لأنهم كانوا يمارسونه في حياتهم "[٣] ولا أدري كيف ان الناس في تلك الحقبة الاقرب منا الى عصر الوحي يؤمنون بضرورة الفصل بين الدين وسائر شؤون الحياة ،واغلب الناس الى اليوم لا يرضون ان يكون الدين بعيدا عن معاملاتهم الاقتصادية، وامورهم الاجتماعية ،واحكمهم السياسية !!! كيف ذلك ولم يغب تأثير الدين والايمان عن عاداتهم الاجتماعية وسلوكهم وسائر امورهم إلى يومنا هذا ؟ وان كان ذلك الايمان على مستوى الفرد وليس الدولة... ثم كيف لقاضي القضاة وهو -منصب شرعي- ان يقول بفصل الدين عن الآدب والحياة ويرى في الدين علاقه بين الانسان وربه لا يتجاوزها الى ان يكون الدين منهج حياة صالح لكل زمان ومكان كما ارد الله له ان يكون؟؟؟..

وأيا كان الدافع فأن إقصاء قيم الدين الإسلامي عن ميدان النقد وأحكامه يُبقي النقد خارج دائرة التأثير والفعالية ، ويسلبه الموضوعية والصدق والاتزان، ويفقده هويته الإسلامية والعربية ،وهذا ما وقع فيه قسم من نقدنا المعاصر الذي ترك للشاعر أن يقول ما يحلو له واعفاه من مسؤولية الكلمة والتبليغ والسمو بالقيم والاخلاق اعتمادا على مبدأ الفن للفن، بل صارت قضية الانحطاط الفكري والاخلاقي والانحراف العقدي معادلا للإبداع في عرف بعض الناقد المتأثرين بالحداثة، ولم تعد ملامح الشعر العربي واضحة القسمات الا فيما

[١] المصدر نفسة ص ٤٢٨

[٢] القاضي الجرجاني الاديب الناقد –د. محمد السمرة – المكتب التجاري بيروت الطبعة الثانية – ١٩٧٩ – ص ١٦٠

[٣] المصدر نفسه – ص ٦٢-٦٣

يتصل باللغة الشعرية التي بدأت هي الأخرى تدب اليها العامية ،وتنهش احشائها الركاكة، ويفتك بها الغموض والعجمة، بعد ما كانت آية في البلاغة والبيان ،فالتدرع بالنصوص التراثية التي يوهم ظاهرها بانفصال الأدب عن الدين والاخلاق هي كل ما أخذناه عن تراثنا النقدي العربي ، وتركنا اضعافها من الاقاويل النقدية التي تتفق تماما مع التصور الاسلامي والعربي ، فصار بعض شعرنا خال من القيم التي تعكس هويتنا وتكشف عن انتمائنا الاسلامي والعربي، لان النقد العربي المعاصر ركن الى المنجز النقدي الغربي وحدة في تقييم النصوص ، وترك خلف ظهرة مصادر مهمة كان بالإمكان الانتفاع منها الى جانب انتفاعه من النقد الغربي ونظرياته ، وبذلك يكتسب صفة الاصالة والمعاصرة ، وهذه محاولة لبيان بعض تلك المصادر.

المبحث الاول:

مصادر النقد الأدبي واصوله وفق المنظور الاسلامي

إن تراثنا -غالبا -تمت قراءته من خلال المناهج المادية الغربية ،وبجهود المستشرقين وأبحاثهم ، وقد أثمرت جهودهم هذه جيلا من النقاد العرب الذين ينظرون إلى منجزنا بذات المنظور الغربي، ويذهبون إلى ذات المذهب، ويحاولون دراسة الأدب العربي وفق آليات المذاهب والمناهج الغربية بصورة قسرية، من دون مراعاة لخصوصية الأدب العربي وطبيعته ، فعرف النقد العربي المنهج الاجتماعي الذي تبلور تطبيقيا على يد طه حسين في كتابه ذكرى أبى العلاء المعري، وحديث الأربعاء ،وقد تأثر كثيرا بأستاذه كارلو نالينو وبكدور كايم ، وقد سار على منواله العقاد في كتابه شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، وعُرف أيضا المنهج النفسي على يد مصطفى سويف، ومحمد النويهي ، وعز الدين إسماعيل، وعُرف المنهج الجمالي على يد روز غريب و ميخائيل نعيمة وسهير القلماوي، والمنهج الأيد لوجي على يد سلامة موسى ومحمود العالم وعبد العظيم أنيس ولويس عوض وزكي نجيب محمود ، ومع ظهور النظريات الايدلوجية الحديثة كالنظرية الاشتراكية والشيوعية والماركسية ولد المنهج المادي الجدلي والمنهج الإيديولوجي الاشتراكي في الساحة النقدية العربية ، مع مجموعة من النقاد كمحمد مندور وحسين مروة ومحمد برادة وإدريس الناقوري ، ومع بداية الستينيات قفزت ظاهرة المثاقفة والترجمة والاطلاع على المناهج الغربية المعاصرة كالبنيوية

اللسانية مع حسين الوادي وعبد السلام المسدي وصلاح فضل وكمال أبو ديب وسعيد يقطين، والسيمائية مع محمد مفتاح وسامي سويدان ، وعبد الفتاح كليطو، والأسلوبية مع محمد الهادي الطرابلسي وعبد السلام المسدي [١].وقد نجحت بعض هذه الدراسات النقدية في التوصل الى نتائج مهمة واحكام سليمة تتعلق بمنجزنا الأدبي ، غير أن البعض الأخر من هذه الدراسات صار كرجع الصدى للمناهج النقدية الغربية وكاد يفقد هويته وذاته ، وغابت عنة الرؤية الصحيحة مع أن في تراثنا الإسلامي مصادر صالحة يستمد منها النقد أحكامه أن اراد، وهذه الدراسة محاولة للتعرف على تلك المصادر والأصول وتوظيفها بمنهجية تجمع بين الاستقراء والاستنباط والتأويل والاجتهاد وبمنظور اسلامي ..مع التأكيد الشديد أن الرؤية النقدية الاسلامية لا تمارس نقدا اخلاقيا او دينيا ، فليست الاحكام الاسلامية للنقد مرهونة بالمعيار الاسلامي والاخلاقي كما يظن البعض ، فالنقد الحق هو الذي يجتمع فيه الشكل والمضمون معا فهما لحمة النص وسداه، فلا يوجد وفق الرؤية الاسلامية ناقد للمضمون واخر للشكل ، فالأول فقيه والثاني لغوي فالنقد وفق الرؤية الاسلامية هو الحكم على النصوص الأدبية جماليا وفنيا بأدوات النقد المختلفة وفق قواعد التصور الاسلامي. والنقد في المنظور الاسلامي لا يعني" تحكيم النظرة الدينية وحدها بل يعني اتخاذ مقياسيين للأدب :اولهما فكري ، ينظر في المضمون وما فيه من موافقة او مخالفة لأسس التصور الاسلامي ،والآخر فني ،يراعي قواعد الشكل الفني لكل نوعه من انواع الاشكال الأدبية "[٢]

و يمكن إجمال مصادر النقد بـ:

القرآن الكريم ، والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ، والتراث النقدي العربي الإسلامي ومقالات الإسلاميين ، والجهود النقدية العالمية التي تتفق مع الفكر والتصور الإسلامي .

- القرآن الكريم:

جاء القرآن الكريم بالإعجاز العلمي واللغوي والتشريعي والثقافي والمنهجي، وبكل أنواع الإعجاز التي يمكن للعقل البشري أن يصل إليه،

[١] ينظر: مقالات الاسلاميين ص٧٧

[٢] خصائص القصة الاسلامية –تأليف :الدكتور: مأمون فريز جرار –دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة - الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ص٢٢

بخطاب وأسلوب أدبي من دون سائر أنواع الخطابات الفلسفية والعلمية ؛ [١] لإمكانية هذا الخطاب التوصيلية ، وديمومته وجماله ، وتفوقه على أنواع الخطاب الأخرى، بما يمتلكه من خصائص ومقومات ،وصار الأسلوب القرآني آية في ذاته تدل على أنه من عند الله تعالى بحسن انسجامه، ودقة الفاظه ومعانيه، وعنايته بالمفردات والجمل وضرورة تقيدها وضبطها لما لها من دلالات عميقة ، فعاقب بني إسرائيل؛ لأنهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ } [٢] ووجهة المسلمين إلى ضرورة الالتزام بالمصطلح والنظر فيه قبل استعماله لاسيما في خطابهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [٣] وكان الصحابة رضي الله عنهم يستجيبون لهذه التوجيهات والإشارات ، ويفهمون الدلالات البعيدة للخطاب التي تحتاج إلى إعمال ذهن وذكاء ، وقوة استنباط ، ويقلبون الكلمة على وجوهها ، فيفهمون ما ترمي إليه ، فيروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى : ((أذا جـــاء نصـــرُ اللهِ والفتـــح))فسرها تفسيرا أنفرد به على حداثة سنه فقال :ابن عباس رضي الله عنهما :لما نزلت قال :نعيت إلى نفسي بأنه مقبوض في تلك الســـــــنة.[٤]

وفي القرآن الكريم توجيهات ربانية تحث على إطالة النظر، وإجالة الفكر واستلهام العبر من آيات الكون الزاخرة المترامية التي سنورد بعضا منها ، يقول تعالى : ((فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ{٥} خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ{٦} يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)) [٥] وقوله تعالى: ((أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ{١٩} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) [٦] وقوله تعالى ايضا: ((أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن

[١] (الخطاب الأدبي في القرآن الكريم والسؤال الغائب) عباس المناصرة مجلة البيان العدد ٢٠٩ السنة ٢٠٠٥ ٢٣

[٢] سورة البقرة آية:٥٩

[٣] سورة البقرة: آية ١٠٤

[٤] عمدة القاري بشرح صحيح البخاري العيني ، ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بدر الدين العيني(ت ٨٥٥هـ) –الناشر دار احياء التراث العربي –بيروت ج ١٨ص ٥٨

[٥] سورة الطارق: الآيات ٥-٧

[٦] سورة العنكبوت: الآيات ١٩-٢٠

فُرُوجٍ{٦} وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ))[١]

ففي هذه الآيات وغيرها أوامر إلهية صريحة ، لمداومة النظر في آيات الكون وما فيه من مخلوقات، ليزداد المؤمن إيمانا ورسوخا، فهو علامة على وجود خالق ومدبر لهذا الكون العظيم، وما من شك في أن النظر والتأمل وسيلة من الوسائل التي يتيقن الإنسان من خلالها بأن هناك ربا وراء ذلك الخلق العظيم ،والنظر بمعناه العام -وفق ذلك- طريق لابد منه لمن يريد أن يصل إلى كنه الحقائق وأسرارها، وربما يمثل جوهر العملية النقدية ، وآية ذلك ما أورده الآمدي الناقد سنة ٣٧٦هـ في كتابه الموازنة بقوله :"...أن تنعم النظر فيما يرد عليك ،ولن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل ومن إذا تأمل علم ومن إذا علم أنصف" [٢] والقرآن يدعونا إلى التأمل وإطالة النظر، وإجالة الفكر بما يهيئ للعملية النقدية سبل وجودها ، ويحدد للذين يقصدون الحكم بين الناس، والحكم على الأشياء ،الكثير من المواصفات الخلقية والسلوكية واللغوية والاسلوبية والبيانية التي تتيح لهم أتباع الحق ، والتمسك بالصدق، وتحقيق العدل والكمال ، وبعث الجمال ((وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[٣] ونهى عن الكذب والخداع والقول على الله بغير الحق ، قال تعالى:((وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَق.....))[٤] ونهانا تبارك وتعالى عن الفحش من القول واجتناب الزور ((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ))[٥]

وهذه معايير صالحة ثابتة بين يدي الناقد المنصف ؛ لأنها منهج رباني ثابت لا يتبدل أو يتحول، ولا يتأثر بالأهواء والرغبات ، وقد وضع القرآن الكريم للناقد مقياسا منضبطا من خلال حده للشاعر وبيان وظيفته وربطه بالإيمان ، فالشاعر لا يكون شاعرا إلا إذا كان يصدر عن رؤية إيمانية ويقين ثابت ، وعمل صالح : ((وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ{٢٢٤} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ

[١] سورة ق-الآيات٦-٧
[٢] الموازنة بين الطائيين –الآمدي-تحقيق أحمد صقر-دار المعارف القاهرة – الطبعة الثانية-١٩٧٤- ج ١- ص-٤٤١
[٣] سورة الأنعام-الآية ١٥٢
[٤] سورة النساءالايه-١٧١
[٥] سورة الحج الآية -٣٠

يَهِيمُونَ{٢٢٥} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ{٢٢٦} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ{٢٢٧})) [١] ولم يكتف القرآن الكريم بما قدمه من معيار نقدي على مستوى المضمون فقط ، بل قدم معيارا نقديا أخر يتعلق بالشكل عبر صفاء لغته ونقائها من اللهجات الغريبة ، أذا أُنُزل بأجدودها وأفصحها ، فحفظ اللهُ اللغةً بحفظه للذكر ،وأمد الشعراء بمعين لا ينضب من الالفاظ والمعاني ،وخصها بالحفظ وقدر عليها الديمومة والبقاء ومكنهم من امتلاك ناصية البيان وتذوق الشعر ، ونقد رديئة من حسنه ، على أساس ديني إيماني مرتبط بمعان وألفاظ صادرة من مشكاة ربانية ، وقدم القرآن الكريم رؤية عامة عن الجمال مؤسسا للنقد المنطلق في الحكم على النصوص ، وأثرى المكتبة النقدية بالعديد من الدراسات المتتالية عبر العصور لسمة الإعجاز التي فيه، حيث لم تكن كتب الإعجاز القرآني مفصولة عن البلاغة والنقد ، ومن أهمها مجاز القرآن لأبي عبيدة الذي "يعد أول المصنفات وأكملها من ناحية تطبيق المفهوم القرآني على النص ، وكان بحق نواة للنقد الإسلامي النزيه والعادل في تقييم النصوص ونقدها فحين يعرض أبو عبيدة بيت خفاف بن ندبة:

وأن تك خيلي قد أصيب صميمها فعمـــــدا على عيني تيمت مالكا

يقول مثبتا معنى القرآن :"وفي مجازه ما جاء خبرا عن الغائب ثم خوطب الشاهد بقوله تعالى{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }البقرة٢. يعقب قائلا :وقد يخاطب العربي الشاهد فتظهر له مخاطبة الغائب ، كما فعل خفاف ، قلنا ولو أن شاعرا نسج على نفس المنوال مقتديا لقلنا له :أحسنت وأجدت [٢] ، وسار على هذا المنهج الفراء في معاني النحو ، وما زال القرآن الكريم يعد أصلا من اصول النقد بما فيه من إشارات تتعلق بالناقد وعمله التي منها :الصدق في القول والأمانة ،والإيمان، والموضوعية ،والتأكيد على أهمية الكلمة والمصطلح ، واستحضار النية والغاية والهدف ،هذا فضلا عن المقاييس الجمالية واللغوية التي يمكن للناقد استحضارها بما جاء به القرآن الكريم من أعجاز لغوي وبياني واسلوبي وبصيغة الخطاب الأدبي ، فيمكننا إذن أن ننطلق من هذا الأساس المتين ، بشرط أن نحسن التعامل معه بوصفه كتابا مقدسا

[١] سورة الشعراء- الآيات ٢٢٤-٢٢٧
[٢] ينظر: مقالات الإسلاميين-٨١

يحتج به لا عليه، مع ضرورة التوسع في دائرة الاجتهاد في عملية استنباط الأحكام النقدية من النصوص القرآنية ، فليس بالضرورة أن ينص القرآن الكريم إلى مثل هذه القضايا على نحو صريح ؛ لأنه غير معني بالجزئيات شأنها شأن الكثير من المسائل الفقيه والشرعية المستنبطة ، وهو زيادة على ذلك ليس كتاب أدب أو نقد ونحوهما من العلوم والمعارف ، بل هو كتاب الله العظيم الذي أنزله منهاجا شاملا لكل ما يتعلق بحياة الإنسان معاشه ومعاده، والمسؤولية تقع على عاتق الناقد الإسلامي الذي ينبغي عليه تحديد أصول النظرية النقدية من خلال مصادرها الإسلامية بعقلية تجمع ما بين المرونة والخبرة العلمية المتخصصة المنطلقة من الأصول باتجاه الفكر وليس العكس ، والابتعاد عن النظرة الجزئية والتفسير الموضعي كما فعل البعض مع الآية المتعلقة بالشعراء، فلابد من التعامل مع هذه القضية ومع كل قضية بشمولية تامة والحذر من النظرة المبتورة التي حذر الله تعالى منها في قياس الامور فقال تعالى: ((أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))[١] ودون إهمال لشارة ولا واردة ؛ لأن منهجية الانتقاء بقصد أو غير قصد مرفوضة شرعا في التعامل مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم' والمطلوب النظرة المتكاملة واستقراء الشواهد؛ لتحديد الخاص والعام، الحلال والحرام ،والخروج بفكرة واضحة التصور ،تبتعد عن أسلوب طرح الشواهد والتهرب من استخراج (الفقه النقدي)كما فعل العلماء القدماء رحمهم الله ، الذين اكتفوا بذكر أسباب النزول دون التطرق إلى الجوانب الأدبية والنقدية ؛ "فأوجد ذلك فراغا أستغله تلاميذ الفلسفة اليونانية في العصر العباسي ، وعندها قاموا بتعبئة هذا الفراغ ، وذلك بترجمة نظريات الشعر عند أفلاطون وأرسطو وهورس، مما أوجد نقدا عربيا على قواعد الذوق الإغريقي ينحرف بذوق الأمة عن الاستقلال والتميز ، فكان هذا سببا في إجهاض الميلاد الحقيقي لنقد إسلامي يخرج من مرجعية الأمة ومن إنتاجها الإبداعي "[٢] ،ليبق نقدنا المعاصر يتسكع على أبواب النظريات الوافدة

- الأحاديث النبوية :

[١] سورة البقرة-الآية٨٥

[٢] (الخطاب الأدبي في القرآن الكريم والسؤال الغائب) عباس المناصرة مجلة البيان العدد ٢٠٩ السنة ٢٠٠٥

يبدو للبعض أن فكرة البحث عن اصول النقد في القرآن الكريم فكرة مستحيلة ، لثلاثة أسباب :الأول–قلة النصوص التي تشير إلى هذه الاصول، والثاني عموميتها وشمولها ، والثالث -القرآن الكريم كتاب تشريع لا قبل له بمثل أمور الأدب ونقده.

وقد فات هؤلاء أن عدم التصريح بالنصوص في القرآن الكريم ليس سببا على عدم اتخاذه أصلا، ففي المسائل الفقيه والشرعية أحكام لم ترد في القرآن الكريم ، وإنما ذكُرِت في السنة، أو أنها ذكُرت أجمالا فجاءت السنة موضحة وشارحة لها [١]، إذ لا يمكن الاستغناء بالكتاب عن السنة : ((لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ))[٢] ومن ثم فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديِّين الراشدين تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالة).[٣] فالقرآن كتاب شامل ومنهج حياة يصلح لكل زمان ويتعلق بكل أطوار الإنسان من غير خلل ولا تقصير او تفريط، قال تعالى : ((وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)) وقد جاءت الأحاديث النبوية فيما يتعلق بالشعر والنظر فيه شارحة للمجل الذي ذكره القرآن بهذا الخصوص ، و متفقة تماما مع التصور القرآني لمفهوم الشعر ووظيفته، قال تعالى: ((وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))[٤] فنجد النبي صلى الله عليه وسلم يحث الشعراء المسلمين على مواجهة أعدائهم من المشركين كنوع من أنواع الجهاد في سبيل الله ، فقال لحسان بن ثابت :(أهج قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل) وقال لحسان (أهجهم وجبريل معك)[٥]، والأحاديث في

---

[١] تبدو صعوبة تقبلنا عد القرآن الكريم مصدرا من مصادر النقد كون ما جاء في القرآن الكريم لا تعدو اشارة غير مفصلة وهذا صحيح لكن اسلوب القرآن الكريم في كل المسائل الفقهية والشرعية يسير على هذا النمط حتى بما يتعلق بالأركان والكليات فالصلاة مثلا وردت اجمالا ولم تتبين هيئاتها وسننها والزكاة فرضت ولم يتضح تفصيلات نصابها .. وهكذا فتأتي السنة موضحة وشارحة لمجمل القرآن ...

[٢] سورة ال عمران-الآية ١٦٤ **الحِكمة هي السنة**.

[٣] سورة الأنعام-الاية٣٨

[٤] سورة الاعراف- الاية٥٢

[٥] تهذيب الآثار: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا- الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (٨٣٦)

هذا الباب كثيرة[١] وكلها تبين موقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر ووظيفته وهو موقف عام لكل شاعر يتخذ من اللسان سبيلا للجهاد ، ومن الإسلام نهجا لحياته وسلوكه ، أما الفن الشعري المنحرف المرتمي في أحضان الفحش والرذيلة فقد ذمه النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بقوله: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خيرا له من يمتلئ شعرا)[٢] ونهى عن القريض في وقت مخصوص وقت العبادة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة ، لم تقبل له صلاة تلك الليلة)[٣]* وواضح هنا أن موقف القرآن الكريم والسنة النبوية ليسا ضد الشعر على

[١] فقال محمد بن مسلمة : كنا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسان بن ثابت : " يا حسان ، أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية ، فإن الله عز وجل قد وضع عنك آثامها في شعرها وروايتها " . فأنشده قصيدة هجا بها الأعشى علقمة بن علاثة :
حدثنا إبراهيم بن سعيد ، حدثنا شبابة ، عن أبي بكر الهذلي ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : " رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعر الجاهلية إلا قصيدة أمية بن أبي الصلت في أهل بدر ، وقصيدة الأعشى في ذكر عامر وعلقمة " *
تهذيب الآثار للطبري حديث:٨٣٦
حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت أنه سمع البراء بن عازب يقول : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت : " اهجهم وجبريل معك " قالوا : فهذه الأخبار تعارض الأخبار التي رويت ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا " لأنه معلوم أن حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، ومن ذكرنا من الشعراء الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، كان الشعر أغلب عليهم من غيره ، فلم ينههم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ولم ير أنهم بذلك من الله عز وجل مستحقي العقاب ، بل جاءت الأخبار عنه أنه ندبهم إلى قيله ، وحثهم عليه ، ووعدهم من الله تعالى الثواب الجزيل على هجائهم المشركين ، وذبهم عن أعراض المسلمين . قالوا : وإذ كانت الروايتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحتين ، وكان غير جائز أن يكون ذلك كان منه في وقت واحد ومقام واحد ، إذ كان أحدهما دليلا على تحريم الامتلاء من الشعر ، والآخر على إباحته وإطلاقه ، علم أن ذلك كان منه في وقتين ، وإذ كان ذلك كان في وقتين مختلفين ، ولم يكن معلوما أيهم المتقدم صاحبه وجب طرحهما ، والمصير أن يعرف الواجب في ذلك من القول من جهة الاستنباط . قالوا : وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الشعر كلاما كسائر الكلام غيره ، غير أن له فضلا على غيره من الكلام المنثور بأنه موزون ، تستحليه الألسن ، وتستعذبه المسامع . ولم يكن الممتلئ جوفه خطبا ورسائل مستحقا أن يكون مذموما ، كان كذلك الممتلئ جوفه شعرا غير مستحق أن يكون مذموما ، كما غير مذموم الممتلئ جوفه خطبا ورسائل ، وهي كلها كلام ، كما الشعر كلام مثلها . قالوا : ولا معنى لقول القائل : إنما عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا ، خير له من أن يمتلئ شعرا " ، أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى لا يكون فيه شيء سواه من القرآن وعلم الدين ، لأن ذلك لو كان معناه لوجب أن يكون قلبه لو امتلأ من الخطب والرسائل وأساجيع الكهان ، حتى لا يكون فيه شيء من القرآن وعلم الدين أن يكون غير مذموم ، إذ كان الذم من النبي صلى الله عليه وسلم إنما ورد علينا لمن امتلأ قلبه من الشعر خاصة . قالوا : وفي إجماع المسلمين على ذم من امتلأ قلبه مما ذكرنا من الأشياء التي عددنا ، حتى لا يكون فيه شيء من القرآن وعلم الدين الدليل الواضح على أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا " غير الذي قاله قائل هذه المقالة . قالوا : وإذ كان ذلك كذلك ، فالصحيح ما قلنا : من أن ذلك كان من النبي صلى الله عليه وسلم في وقتين مختلفين ، وقد سقطت حجتهما جميعا ، إذ كان لا علم عندنا بالناسخ منهما والمنسوخ ، وصار الأمر فيه إلى الاستنباط ، وكانت الأدلة تدل على ما بينا . قالوا : وبعد ، فإنه لم يكن كبير أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان من العرب ، إلا وهو للشعر قائل ، أو هو له راو الرواية الغزيرة الكثيرة ، ورووا بت صديق ما قالوا أخبارا ، نذكر بعض ما صح سنده مما حضرنا من ذلك ذكره

[٢] صحيح البخاري- البخاري ٢٥٦هـ-الطبعة الأولى مطابع الشعب القاهرة-١٩٥٩ (٥٨٠٩)كتاب الآداب

[٣] مسند أحمد بن حنبل - مسند الشاميين -حديث شداد بن أوس - حديث:١٦٨٣٠

إطلاقه، وإنما هما ضد الشعر الذي يقوض القيم الإنسانية ، ويقصي الإيمان من دائرته ، ويستجلب الكلام الفاحش ويفسد الأذواق والأخلاق، ويتعارض مع وقت العبادة ، أما وراء ذلك فأن النبي صلى الله عليه وسلم شجع الشعراء وأعلى من قيمة الشعر(أن من الشعر لحكمة وأن من البيان لسحرا) [١] فأستحسن الشعر، وعفا به عن المخطئ ، وقبل التوبة و أعطى قيل الشعر ،وكان أصحابه يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية فلا ينهاهم ، وربما تبسم وكان يرى في الشعر: (هو كلام ، فحسنه حسن ، وقبيحة قبيح)[٢].وكانت له صلى الله عليه وسلم توجيهات فنية نقدية زيادة على موقفه من الشعر ووظيفته كتلك التي وجهها إلى شعر كعب باستبداله لفظ مجادلنا بـ (مجالدنا) في البيت القائل [٣]:

مجالدنا عن جذمنا كل فخـــــمة مدريـــة فيها الأقواس تـــــــلمع

وبالمعيار الفني ذاته نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى شعر النابغة الجعدي:

أتيت رســـول الله إذ جاء بالهدى ويتلـــو كتابا كالمـــــــجرة منيرا

بلغنا السمـــاء مجدنا وجدودنـــا وإنـــــا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وهـذه الإشـارات الفنيـة تفنـد الـرأي السـائد القائـل :بـأن النقـد فـي هـذه المرحلـة لا يعـدو التوجيهـات الاخلاقيـة[٤] ، وربمـا تسـلل هـذا التصـور مـن

[١]– سنن ابي داود: للحافظ أبي داود ابن الأشعث الأسدي-دار الكتب الحديثة القاهرة كتاب الآداب باب ما جاء في الشعر

[٢] سنن الدار قطني -أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم -الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان -الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م-اسناده حسن كتاب الوصايا ٣٧٧٤

[٣] ينظر: السيرة النبوية-ابن هشام-أبو محمد عبد الملك بن هشام٢١٨هـ تحقيق مصطفى السقا وأخرون-مصطفى البابي الحلبي-١٩٣٦ ص ١٣٣

[٤] أغلب النقاد العرب يرددون مثل هذا الحكم ويرون أن النقد الأخلاقي والديني لا يعدان من مهام الناقد ولا من صميم عمله وإنما هما قضايا يمارسها غير النقاد على الشاعر ... والدين والأخلاق بمعزل عن الشعر وهذا تصور يريد إبقاء الدين حبيس كتب الفقه دون أن يتحول إلى واقع. والمنظور الإسلامي للنقد لا يرى ايضا ان تكون الاحكم الدينية والاخلاقية هي الوحيدة في عملية الحكم لكنه يرى ان تكون واحدة من المعايير

نفثات المستشرقين لتجد لها أذانا صاغية عند بعض الكتاب والنقاد العرب، والحق كان يمكن لهذه التوجيهات أن تكون أصلا لو جمعت في حيز واحد، وتعاضدت الجهود على قراءتها وتصنيفها ، ففيها تترسم ملامح نظرية نقدية تتعلق بتحديد وظيفة الشعر ودوره ، وتعريف الشعر وحده ، فضلا عن التوجيهات الفنية واللغوية التي مارسها النبي صلى الله عليه وسلم على بعض أبيات الشعر، واحتكامه المعيار الأخلاقي المرتبط بقضية الصدق على أساسه الأخلاقي النابع من الدين ، ولا أظن في ذلك ما يسئ للنقد فأي ضرر يلحق بالنقد إذا أدخل في حيز عمله الأساس الأخلاقي كواحد من الأسس الفنية والشكلية الأخرى، وقد رسُخت مثل هذه الملامح على نحو أكبر في عصر الخلفاء الراشدي الذين جعلوا من الأخلاق والقيم الدينية معيارا أساسيا في عملية تقويم الشعر ونقده واستمرت هذه الأحكام طيلة خلافة الصحابة وما بعدها إلى المرحلة التي أطلت الفلسفة برأسها ،واستشرف علمُ الكلامِ الميدانَ ، ودخلت إلى حظيرة الإسلام أجناس وملل عديدة ؛ نتيجة للفتوحات الإسلامية ، ولقابلية الإسلام على احتواء الجميع تحت جناحيه الدافئين ، فكان من الطبيعي أن يتأثر الفكر النقدي بهذه المؤثرات ويقف بعض النقاد موقفا مرتبكا من قضية الدين والأخلاق والشعر وهم بصدد الدفاع عن الشاعر أو الهجوم عليه ، الا أن هذه المواقف لم تتجاوز التنظير إلى الممارسة التي ظل فيها الناقد يرفض رفضا قطعيا الفصل بين الدين والاخلاق. أذن فالرؤية الإسلامية التي نرجوها في ميدان النقد ليست بدعة محدثة ، ولا نبتا مقطوع الجذور بل هي استمرار وبعث لمشروع نقدي له قواعده واصوله التي تناءت عنا لعوارض كثيرة ، وهذا قسم من أصوله المتمثلة بما ورد في السنة النبوية وعلى مستويين:

المستوى الجزئي :خاص ببعض المواقف الفنية والتحليلية على صعيد الشكل والمضمون فيما أوثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، مع الاجتهاد في جمعها وضم بعضها لبعض ؛ لاستخراج الأحكام النقدية

في عملية الحكم الى جانب الاحكام الفنية ينظر: كتابات عز الدين إسماعيل ومحي الدين صبحي ومحمد مندور وغيرهم

المتعلقة بالأدب ، ومحاولة تفصيل ما أجمله القرآن الكريم في هذا الباب، من خلال السنة النبوية بوصفها مُبينة للقرآن وفق نظرة شمولية ،–وهي كثيرة جدا [١] وبحاجة الى بحث منفصل لجمعها وتتبعها .

المستوى الشمولي (الكلي) : وهو كل ما أوثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكلمة وأثرها والبيان ودوره، والفصاحة وجمالها، ودور اللسان في توجيه الكلام وصرفه، واستعمال الكنايات والتورية في حديثه والمعاريض والجمال الاسلوبي والاعجاز البلاغي وقوة العبارة وجزالتها ،وتغييره بعض أسماء الأمكنة والأشخاص والطرق ؛ لقبحها بأخرى أجمل منها ، وحسن استعماله للحروف والأدوات اللغوية ، ورفضه لبعض الصيغ لأسباب شرعية واسلوبية والامثال والقصص والوصايا والخطب [٢]، فحديث النبي صلى عليه وسلم زاد للأديب الاريب وللناقد الجاد ؛ لأنه ذروة في البيان لا يرتفع فوقه في مجاله الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة وهو كما يصفه الجاحظ:
هو الكلام الذي قل عدد حروفه ،وكثرت معانيه ،وجل عن الصنعة ونزة عن التكلف...واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ،ورغب عن الهجين السوقي ،فلم ينطق الاعن ميراث حكمة والم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة ،وشيد بالتأييد ،ويسر بالتوفيق وهو الكلام الذي القى الله عليه المحبة ،وغشاه بالقبول ،وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام "[٣] ومن كان هذا شأنه وخصاله فهو بلا شك بحاجة إلى جهود متراصة لتنهل من معينه الثر المعطاء .

أقوال الصحابة :

[١] منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد، ألا كل شيء ما خلا الله باطل) -عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(حدثنا عباد بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشعر ، فقال : " هو كلام ، فحسنه حسن ، وقبيحة قبيح)وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(من قال في الإسلام شعرا مقذعا فلسانه هدر)

[٢] وهناك بحوث ودراسات متميزة أهتمت بدراسة حديث النبي صلى الله عليه وسلم وبينت الاشارات البلاغية و النقدية والرؤية الجمالية في هذه الاحاديث منها :التصوير الفني في الحديث النبوي-تأليف محمد الصباغ – وكتاب الخصائص البلاغية للبيان النبوي تأليف: الدكتور محمد ابو العلا البو العلا الحمزاوي

[٣] البيان والتبين ـــ الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ -تحقيق: عبد السلام محمد هارون- الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ٢/ص١٧

الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين آية في الصدق والعدل، وهم التطبيق العملي للإسلام ، وكانوا بحق مصاحف تدب على الأرض ،كما أنهم أصحاب بيان وفصاحة وذوق رفيع ، ورأي سديد وفطرة سليمة ، ونظرة ثاقبة، وخلق جم ، وحدس صائب وهم زيادة على ذلك أصحاب عهد ووعد رحماء بينهم أشداء على الكفار، يقولون الحق ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، وتلك أمور لا تجتمع في جيل غير جيلهم ، وهم بذلك المثال الأعلى بكل ما يصدر عنهم من زهد وعبادة وصبر وتوكل وتصويب ونقد ، فحري بنا أن نتوقف عند بعض ما غرسوه من أراء نقدية ومواقف وتعليقات؛ لنضمن لنقدنا سلامة القاعدة وثبات الأصل، و نحفظ له هويته وذاته التي كادت أن تتلاشي خلف سحابات النظريات الوافدة ، وتعد مواقف الصحابة النقدية امتدادا لموقف القرآن الكريم والسنة النبوية من الشعر ووظيفته وتطبيقهما للمقاييس الإيمانية في عملية النقد، فأبو بكر رضي الله عنه يثني على لبيد بن ربيعة العامري حين قال :ألا كل شيء ما خلا الله باطل فقال:صدقت ولما قال لبيد :وكل نعيم لا محالة زائل قال الصديق :كذبت [١]، وحرص عمر رضي الله عنه على دعم هذه المقاييس حين قال لابن عباس أنشدني لأشعر الناس الذي لا يعضل بين القوافي ولا يتبع حوشي الكلام قال :ومن ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال :زهير ابن أبي سلمى [٢]وهو الذي جعل ضوابط للشعر وقيد غرض الهجاء ، وعاقب الذين ينسلخون عن مبادئ الإسلام وأوامره ، فحبس الحطيئة لما هجا الزبرقان بن بدر ، وأمر بسجن أبي محجن الثقفي لشربه الخمر[٣]، ليأتي الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيضع معيارا جديدا يتعلق بالبيئة والزمان والمكان يوم تناظر بحضرته القوم وكان فيهم أبو الأسود الدؤلي ، واحتدم النقاش بين الشعراء كلٌ ينتصر لما يراه فقال علي رضي الله عنه حاكما ومنتقدا :كل شعرائكم محسن لو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن وإن يكن أحد أفضلهم كالذي لم يقل رهبة ولا رغبة امرئ القيس بن حجر فأنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة [٤] ، ولعمر بن عبد العزيز رؤيته للشعر أيضا فقد روي

[١] الموشح- أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني - تحقيق: علي محمد البجاوي- دار النهضة بمصر-القاهرة ١٩٦٥ ص-٣٢١

[٢] العقد الفريد- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه-شرحه وضبطه وعنون موضوعاته : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري- مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة- القاهرة-الطبعة الثانية-١٩٥٦ج٥ ص٢٧٠

[٣] الأغاني- لأبي فرج الأصفهاني–دار الثقافة- بيروت ص ٣٠١

[٤] الأغاني- لأبي فرج الاصفهاني ص٣٠١

عنه أنه لما تولى الخلافة توافد عليه الشعراء يرغبون في المديح فقال لمن عنده أمرهم بالانصراف ثم أذن لكثير بن عبد الرحمن ونبهه إلى الصدق في القول[١] وقد تفرقت مثل هذه الروايات في بطون كتب الأخبار والسير والحديث والأدب والتاريخ ، وليس المقصود -هنا –تتبعها وسردها ولكنها، لو جمعت لشكلت مادة جيدة بين يدي الناقد لكن عملا من هذا القبيل لم يحصل بعد ليبقى المنهج النقدي المعاصر يحوم في إطاره الفردي الذي يختزل هذه الروايات دون النظر إليها وفق رؤية منهجية متكاملة.

ولما كان التأسيس لأية ظاهرة نقدية تتزامن معها أو تسبقها الممارسة الأدبية الفعلية شعرا ونثرا ، فقد كتب حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك شعرا نقلوا فيه" أغراض الشعر من الفخر بالذات والقبيلة إلى الاعتزاز العقدي والسياسي، ومن الغضب والهجاء المرتبط بمصالح الذات إلى الغضب لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أدب التكسب إلى أدب الانتماء العقدي، ومن المدح بدافع المدح إلى مدح الهدى مقابل الثواب من الله سبحانه وتعالى "[٢]وأرفد هؤلاء الشعراء الشعر بمعان وألفاظ جديدة لم يعرفها قاموسه سابقا تتعلق بالجنة والنار، والوعد والوعيد، وأسماء الأنبياء والصالحين ، والأقوام الغابرة وقصصهم، تزامن ذلك كله مع انبثاق رؤية نقدية إسلامية بدت بعض ملامحها في ما روي عن الصحابة والتابعين وآل بيته الطاهرين ، ويمكن أجمال الرؤية النقدية لعهد الصحابة بما يأتي:

١-أن موقف الصحابة يعد امتدادا لموقف القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم من الشعر ووظيفته ، وهو موقف متصل ثابت ، غير متناقض مما يبشر بأسس راسخة للنظرية النقدية المأمولة ويسمها بالوحدة والشمول .

٢-تحكم الذوق الفني الذاتي في عملية النقد ، والتركيز على بنية النص اللغوية ، وتركيب الكلام ومطابقة اللفظ للمعنى ، كما في المنقول عن أبي بكر، وهذا الموقف قريب من موقف الناقد في العصر الجاهلي من حيث الاعتماد على الذوق الذاتي والنظر إلى البنية اللغوية مع فارق جوهري يتصل في أن الأحكام النقدية عند الصحابة دائما ما يصحبها التعليل والتبرير ويغلب عليها التصور الاسلامي، وهذه بحد ذاتها تطور نوعي في مسيرة النقد.

---

[١] مقالات الإسلاميين -ص٨٤

[٢] مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي – عباس المناصرة-مؤسسة الرسالة-دار البشير-الطبعة الأولى ١٩٨٧ ص ١١٥

٣-يعتد النقد عند الصحابة بقيمة الأسلوب ومكانته ، من حيث الجودة والرداءة اعتمادا على الاعتدال في القول والصدق وسهولة الألفاظ ، ووضوح المعاني، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع زهير.

٤-يجب مراعاة عامل البيئة والزمان في عملية الحكم النقدي والموازنة بين نص وأخر وشاعر و شاعر، وهكذا حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفاضل بين الشعراء وفضل امرأ القيس على غيره ، ويعد هذا المعيار تطورا واضحا على مستوى النقد في حينه.

٥-لا تنفصل في هذا الضرب من النقد الأحكام الدينية والأخلاقية و الفنية

هذه بعض القضايا النقدية التي أثيرت في عهد الصحابة والتابعين وهناك أخرى لا يتسع المقام لذكرها جميعا وتبدو انها منسجمة مع التصور القرآني للشعر ومفهوم النبي صلى الله عليه وسلم

- -التراث النقدي العربي :

ربما يظن البعض أن التراث النقدي لا يصلح أصلا من أصول الرؤية الإسلامية اعتمادا على أراء دارسيه ومؤرخيه من المستشرقين ومن المتأثرين بهم، الذين يرون أن الدين والأخلاق بقيا بعيدين عن ميدان الأدب والنقد العربي [١]، واقتطع هؤلاء أدلة من التراث مبتورة عن إطارها التاريخي والمناخ الذي قيلت فيه، تنسب للأصمعي والقاضي الجرجاني وأبي بكر الصولي ،متجاوزين الكثير من الأحكام النقدية عند هؤلاء النقاد وغيرهم ، التي تثبت رؤيتهم الإسلامية في عملهم النقدي ، فأسهم هذا في ترسيخ نظرة الانفصال بين التراث النقدي والإسلامية ، حتى أضحى النقد التراثي –في أعين الكثير منا - مبتور الصلة عن الإسلام ، وكأنهما ضدان لا يجتمعان وخصمان لا يصطلحان، وقد ساد هذا الوهم دون مراعاة جملة من الأمور:

-إن التراث النقدي والرؤية الإسلامية متفقان في أغلب مضامينهما ،فالنقاد الأوائل لم يستبعدوا النظرة الإسلامية عن أحكامهم النقدية ، وكان منهم القاضي والمحدث والفقيه ، ثم أن النقد الأدبي ذاته انبثق من الدرس البلاغي القرآني ومن كتب الإعجاز إذ لم تكن هذه العلوم مفصولة بعضها عن بعض .

[١] ردد هذا الرأي كثير من النقاد المعاصرين من أمثال الدكتور محمد مندور وعز الدين إسماعيل ومحي الدين صبحي وغيرهم

-إن الأحكام النقدية التي استدل بها القائلون بالفصل بين الدين والنقد ، جاءت في معرض الدفاع عن الشعراء أمام من اتهموهم بالزندقة والكفر؛ لذا فأن تعميمها وبترها عن سياقها التاريخي والظروف التي قيلت فيها يعد خطأ منهجيا.

-إن هذه الأحكام لم تتجاوز التنظير إلى التطبيق ، وأنها لا تعد شيئا بالقياس مع تأثر أحكام هؤلاء النقاد بالرؤية الإسلامية، فالصولي نفسه مثلا الذي أصبح قوله دليلا للقائلين بفصل الشعر عن العقيدة يقول:"...على أنه لا ينبغي لجاد أو ممازح أن يلفظ بلسانه ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عز وجل ويتاب من مثله "[١] ومثل هذه الآراء التي تتفق والتصور الإسلامي الصحيح –وهي كثير في كتب التراث النقدي -بحاجة إلى جهد وعناية للكشف عنها وإبرازها؛ لتصحيح المفاهيم الخاطئة، ولا يتم ذلك إلا من خلال قراءة الموروث النقدي العربي قراءة ثانية بمنهج ورؤية إسلامية.

-في التراث النقدي خير كثير وزاد وفير لا يخلو من دخن، فهو بحاجة إلى "تصفية وتنقية "لتمييز الرؤية الإسلامية وتنقيتها من الشوائب الفلسفية والكلامية التي علقت به ، وهذه الخطوة مهمة من جانبين :الجانب الأول-لكي تتيح قراءة الموروث النقدي قراءة صحيحة حيث أن هذا الموروث قراء قراءة سطحية ،وبمناهج غربية دخيلة وضع أصولها المستشرقون .والجانب الثاني لكي يستمد النقد معطياته النظرية والتطبيقية من هذا النتاج الهائل.

-التراث النقدي في أحواله جميعا هو جهد إنساني يحتمل الصواب والخطأ ، فلا بأس أن نأخذ منه ما يتفق مع الثوابت الإسلامية، وندع ما يريبنا إلى ما لا يريبنا، أو يتصادم مع أصل من أصول ديننا ،وذلك عوض التسول على أعتاب المنجز النقدي الغربي. وأن عملا مثل هذا سوف يبرز الجانب المشرق من التراث ، ويجعل الجهد النقدي العربي والإسلامي متصل الحلقات واضح القسمات ، ويفضي إلى انجاز نظرية نقدية كاملة ، في وقت يعاني فيه نقدنا من الذاتية والتقليد.

-يعد التراث النقدي العربي –وفق المنظور الإسلامي- أصلا متينا من أصول النقد الإسلامي المقترح إذا ما دُرس هذا التراث دراسةً موضوعية وفق

[١] أخبار أبي تمام –الصولي ، تحقيق: خليل عساكر وأخرون- المكتب التجاري- بيروت ص١٧٣

الضوابط التي تم تحديدها مسبقا ، لاسيما إذا نظرنا إلى التراث عامة والتراث النقدي خاصة نظرة متوازنة تجميع ما بين من يسفهه ويحط من شأنه وبين من يفرض القداسة عليه.

- اصول أخرى:

أ-جهود الإسلاميين المعاصرين ومقالاتهم:

كثر النقد المتأثر بالرؤية الاسلامية ، وتنوعت ميادينه وموضوعاته ، فشطر منه تناول التيارات والمفاهيم الوافدة وأهدافها وأثارها السلبية على واقعنا المعاصر مثل الاستشراق والتغريب والحداثة والمعاصرة، وشطر ثانٍ دارت جهوده حول محور الأدب الإسلامي تنظيرا وتطبيقا ، والشطر الأخير خصص للنقد الإسلامي مبينا الأسس الفكرية والجمالية للعمل الأدبي ونقده ، وأصول النقد الإسلامي وركائزه ومعايير الحكم والتصنيف ، وقدم هذا الشطر نتائج مهمة يمكن أن تكون نبعا صافيا يرفد الرؤية الإسلامية النقدية ، بيد أنه غالبا ما كان يصدر عن رؤية فردية خاضعة لردود الأفعال أمام ما يطرح من نتاج على الساحة الأدبية العربية ، كما أن هذا الجهد النقدي المخلص كان يفتقد إلى المرجعية الشرعية والمرجعية الأدبية المتخصصة، وكان يصدر في جو من الحماس الفردي والتصور المحدود الذي منعهم من الالتفات كثيرا إلى المصادر الشرعية والتراثية في عملية استخراج المنهج النقدي الإسلامي [١] وبالرغم من هذه الملاحظات فأن هذه الجهود جهود متميزة مباركة، وعتبة مهمة لا يمكن تجاوزها لمن يريد تأصيل رؤية نقدية إسلامية؛ لأنها أينعت ثمارا طيبة ، وقد جمع قسما منها بين دفتي كتاب تحت عنوان مقالات الاسلاميين في الأدب والنقد [٢] فضلا عن جهود رابطة الأدب الاسلامي وما يصدر عنها من مجلات ومطبوعات[٣]. قدمت هذه الجهود بعض الحلول لما يمر به النقد عامة من أزمة التقليد والتبعية للمناهج الغربية، إذ حاولت هذه الجهود بيان سلبيات المناهج والمذاهب الغربية والكشف عن مرجعياتها العقدية والفلسفية التي تتصادم مع مبادئ الدين الإسلامي [٤] وحررت العقل من التبعية

[١] ينظر: مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي-٦٣
[٢] مقالات الاسلاميين في الادب والنقد -الشرقي
[٣] ينظر: أراء رابطة الأدب الاسلامي العالمية في الادب والنقد دراسة وتقويم-كمال احمد فالح مقابلة- اشراف: ا.د شكري عزيز الماضي –جامعة ال البت –كلية الآداب والعلوم –قسم اللغة الغربية- ص ٣٥
[٤] من تلك الكتب مناهج النقد الادبي الحديث رؤية إسلامية. د. وليد القصاب

لعمياء لمنجز الأخر، ثم أنها قدمت فهما جديدا لوظيفة النقد والناقد ودورهما في العمل الأدبي، وناقشت قضايا مهمة تتعلق بالأدب والدين والأخلاق ،لكن هذه الدراسات والمقالات بحاجة الى الجهد التطبيقي ،"ومن ثم هي بحاجة الى فهم اعمق لطبيعة الاسلامية وعلاقتها بالنقد لان كثيرا من هذه الدراسات من ترى في الاسلام جانب من جوانب كثيرة تؤثر في الادب شأنه شأن الجوانب الثقافية والاجتماعية والفلسفية"[١]

ب-النظريات التي تتوافق مع المنظور الإسلامي:

إن موقف الرؤية الإسلامية من النظريات والمناهج النقدية الغربية ينبغي أن يكون -شأنه شأن موقفه من الفكر الغربي عام- موقف اصطفاء واختيار ، أن يستفيد منها لا أن يقلدها ، أن يعرضها على ميزان العقيدة واللغة والذوق ، فما أتفق معها أخذه ، وما تناقض معه رفضه ، أنه ليس موقف القبول المطلق ولا الرفض المطلق ، ففي هذه المناهج بعض ما يصلح لنا ، وفيها الكثير الكثير مما يفسد الذوق والفكر ، ويتناقض مع تصوراتنا الإسلامية ، ونظرتنا إلى الحياة والإنسان والكون [٢] ووفق هذا الشرط يمكن أن يغذي المنجز النقدي الغربي درسنا النقدي بمواد جديد تدفع عنه الجمود والعزلة دون خوف ، فنحن أمة تحاورت مع مختلف الحضارات عبر العصور المختلفة سواء بالخطاب الديني أم الفلسفي أو الجمالي، والرؤية الإسلامية بموقفها هذا "تحدد موقفا ايجابيا من المناهج الفنية والأدبية موقفا متفتحا ينسجم مع خصائص النفس الإنسانية التواقة دوما إلى التطور والتجديد ،وهو بتفتحه ذلك يدين ظاهرة التقليد على المستويين الشرعي والفني " ويفتح باب الاستفادة من العلوم المختلفة على مستوى المنهج والموضوع ومن أي مكان يشاء بشرط "أن تنصهر هذه المواد المسترفدة من بوتقة ذاته ،فتمتزج بها وتأخذ خصائصها ، ومن ثم تتشكل في بؤرة الذات تشكلا خاصا يمنحها كيانا جديدا نابضا بالروح

[١] الأدب الاسلامي-محمد حسن بريغش-٧٨

[٢] ينظر: المذاهب الأدبية الغربية –وليد القصاب– مؤسسة الرسالة –بيروت-لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٥ص-٢٧

وينظر: حول الانتفاع من الفكر الغربي كتاب الدكتور عماد الدين خليل (مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي)٣٣

وينظر :المنهج الإسلامي في النقد الأدبي –سيد سيد عبد الرزاق – دار الفكر المعاصر- بيروت، دمشق- الطبعة الأولى ٢٠٠٢ ص١٧٥

الإسلامية الصافية"[١] مع مراعاة قضية مهمة هي :أن المناهج النقدية الغربية معظمها ذات جذور عقدية أو فلسفية تتصادم والعقيدة الإسلامية، ولكن هذا لا يعني مصادرتها وعزلها، لأن هذه المنهجية ستؤدي -حسب رأي الدكتور عماد الدين خليل: -إلى خطأ في الموقف من التعامل معها في حالتي الرفض والقبول [٢]...فمن هذه المناهج ما يرتبط ارتباطا وثيقا بأصوله العقدية ، لكن هذا الارتباط لا يمسها جميعا فلا بأس أن يكون المنجز النقدي الغربي رافدا من الروافد الداعمة للمنهج النقدي بشروط حضور المعيار الإسلامي، والتشديد على أن تكون تلك المناهج الوافدة غير متعارضة مع المنظور الإسلامي، وغير ذات صلة بجذور عقدية ، ولا تتم عملية الاستيعاب وتوظيف الجهود النقدية الوافدة -مع التحفظات المذكورة –إلا على عين نخبة من أصحاب الفكر والعقيدة الصحيحة والمختصين بشؤون الأدب ونقده، وأن يتم استدعاء المنجز النقدي الغربي والافادة منه في حال استفراغ الجهد في استنباط الاحكام النقدية من تراثنا ، ولا أظن أن تراثنا بمعناه العام سيبخل علينا بما ينفعنا بهذا الجانب. ووفق هذه الشروط فنحن على ثقة من أن مجال التأثر سيكون شحيحا جدا ؛لان المنجز النقدي الغربي ليس مفصولا عن جذوره الفلسفية والعقدية في أغلب احواله وأن الياته وأدواته النقدية غير مبراءة من التأثيرات العقدية، فالتيارات والاتجاهات النقدية مثل التنقيطية والتكعيبية والسيمائية والتفكيكية والمناهج التقليدية السائدة هي نتاج العقل الغربي بكل مؤثراته الفلسفية والعقائدية ،وهي نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي مرت بها أوربا .

وهذه النظرة المتوازنة للمناهج النقدية الغربية من المنظور الاسلامي تنفي عنه تهمة الجمود أو التناقض في استعارته بعض الأدوات النقدية التي لا تتعارض في اصلها مع المنظور الاسلامي فتأخذ من المنهج الاجتماعي والتاريخي سعيهما لدراسة المحيط البيئي والاجتماعي للكاتب والظروف التاريخية التي كتب فيها النص ؛لا دراكها ان المبدع ابن بيئته، لكنها في الوقت نفسه ترفض الاكتفاء بمعطيات المناهج السياقية في هذا المجال لاسيما اهمالها الشكل الفني والبنية اللغوية للنص، والشيء ذاته يقال على المناهج النصية كالمنهج الانطباعي والبنيوي اللذين يكتفيان بدراسة النص بمعزل عن العوامل

[١] مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي– د:عماد الدين خليل-دار ابن كثير-دمشق-بيروت-الطبعة الأولى٢٠٠٦ ص-١٤٥

[٢] ينظر المصدر نفسه ص:١٤٩

البيئة والاجتماعية والتاريخية ،ويدعوان الى موت المؤلف، ولا ضير مطلقا من الانتفاع من المناهج الاكثر حداثة كالسيمائية ومنهج استجابة القارئ مالم تتصادم مع الرؤية الاسلامية أو قضية عقدية لاسيما أن بعض اطروحات المناهج النقدية الغربية الحديثة لها نظائر واشباه واصول في نقدنا العربي القديم وليس المجال هنا لتتبع تلك الاصول، هذا فضلا على أن هذه المناهج ادوات الغرض منها تحليل النص والكشف عن جمالياته ،وفي الوقت نفسه هي غير مفرغة من البعد العقدي كما بينا.

المبحث الثاني: قضايا نقدية في المنظور الإسلامي (البعد التطبيقي)

هذه جملة من القضايا والمفاهيم النقدية نحاول النظر إليها في ضوء المنظور الإسلامي الذي تم تحديد أصوله مسبقا بـالقرآن الكريم – والسنة النبوية –وأثار الصحابة والتابعين- والتراث النقدي العربي-مع الإفادة من الجهود النقدية الإسلامية المعاصرة والنظريات الوافدة التي تتفق والتصور الإسلامي، وقد اكتفت هذه القراءة الجديدة بقسم محدد من القضايا والمفاهيم النقدية منها:

-تـــاريـــخ الأدب: تعتمد المناهج النقدية السياقية كالمنهج التاريخي والاجتماعي في أحكامها النقدية على المعلومات التاريخية والبيئية والاجتماعية المحيطة بالأديب، في الوقت ذاته فأن الكثير من كتب التاريخ تعتمد في معلوماتها على التراث الأدبي والنقدي بوصف الأديب مرآة العصر الذي نشأ فيه ،وفي هذه العلاقة المتبادلة بين الأدب والنقد والتاريخ جانبان خطيران:

الأول :أُستخدمت الدراسات الأدبية وكتب النقد الأدبي في تشويه التاريخ، فصار شعر عمر بن أبي ربيعة صورة للمجتمع في عصره ، وشعر أبي نؤاس ومسلم بن الوليد وبشار وقصص ألف ليلة وليلة صورة طبق الواقع للحياة في العصر العباسي، ولا ننسى تلك الصورة المعتادة لهارون الرشيد وهو يتوسط مجلس اللهو والشراب والرقص كما نقلتها كتب الأدب، والأخطر من ذلك أن تُستخدم تلك الدراسات الأدبية في تشويه الشخصيات الإسلامية في تفسيرها للظواهر الأدبية كما في تعليلها لظاهرة شيوع الغزل في العصر الأموي حيث تقول :" لم يكن الغزل فنا مستقلا ، ينظم فيه الشاعر لذاته في العصر الجاهلي ، ولكنه أصبح فنا مستقلا وأصبحت القصائد تنظم من أجل الغزل وحده ...وترى هذه الدراسات أن من أهم أسباب ظهور هذا الفن :

-أبعد الأمويون أبناء المهاجرين والأنصار عن السياسة ، وأسكنوهم الحجاز ،ومنحوهم الأموال الطائلة ،ووجد هؤلاء الفراغ والأموال فبدأوا ينظمون هذا اللون من الشعر

- كثرت السبايا نتيجة للفتوحات الإسلامية ،وكان معظم أبناء المهاجرين والأنصار من الشباب، فانصرفوا إلى الغزل وسماع الغناء، وقال هؤلاء شعرا رقيقا ،أبدعوا فيه ووقفوا شعرهم عليه " [١] هكذا يفسرون الظواهر الأدبية تفسيرا سطحيا الغرض منه النيل من الإسلام ،والطعن في رجال الأمة من الصحابة وأبنائهم ، كما فعل جورجي زيدان في رواياته التاريخية المكتنزة بالإساءة لثوابتنا ورموزنا الإسلامية[٢] ، وطه حسين وعبد الرحمن الشرقاوي في أثارهم الأدبية والنقدية ،وخطورة هذه الأعمال وغيرها أنها جاءت في سياق العمل الأدبي الذي يعفى صاحبة من شروط التحقيق في الرواية وضبطها ،كما أنها تقدم بوصفها عملا فنيا ودراسة فنية بحتة غير مقصود ما تحمله من أفكار.

الجانب الثاني: ويكمن خطره كوننا ورثنا جملة من الأخطاء والأوهام التاريخية قادتنا إلى أحكام نقدية مشوشة فيما يتعلق بدراسة حياة الشاعر وبيئته ، والحكم على قيمته الأدبية من خلالهما، فالعصر العباسي عصر مجون وخمر ولهو لذا فأن بيئته كانت متهيئة لولادة شاعر مثل أبي نؤاس ، كما أنه عصر زندقة والحاد ودليله شعر أبي العلاء المعري، والعصر الأموي عصر العصبية القبلية والدسائس والمكائد والتحزب القبلي والمذهبي ، وهكذا فسرت كثير من الظواهر الأدبية تبعا لما توهمنا من أحداث تاريخية جاءتنا ؛نتيجة لمنقولات المستشرقين غير المبرأة من تهمة تشويه تاريخنا الإسلامي ، واعتمد هؤلاء على المصادر الأقل ضبطا وتحقيقا ، واكتفوا بإظهار الروايات والأحداث المضطربة من هذه المصادر ككتاب الأغاني الذي "لم يكن يوما مصدرا علميا يدرس منه تاريخ المسلمين في عصر من العصور ، ورباعيات الخيام لم تكن في الحقيقة إلا شعرا أنشأه شعراء مجهولون قبل الإسلام ، وفي ظل مجوسية الفرس ، جمع ونسب إلى هذا العالم الفلكي الذي خلت حياته من

[١] نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي-الدكتور عبد العظيم محمد الديب-دار البشير –عمان –الأردن-١٩٩٣ ص-٣٢

[٢] ينظر : الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث-حسن سالم هندي- دار الحامد –عمان الطبعة الاولى- ص٩٨

مثل هذه الأهواء " [١] كما شك المستشرقون بأولية الشعر الجاهلي وتاريخه ونسبته، وهونوا من تأثير الإسلام في الشعر بل أنهم حسبوا عصر صدر الإسلام عصرا حُطت فيه منزلة الشعر والشعراء، فيما ذهبت أقلامهم تنبش في أدب التصوف عند الحلاج وابن عربي، وأدب الإباحة والمجون مصورة هذه العوارض والانحرافات في أدب الأمة على أنها صورة للعصر كله ومثال له نظائره الكثيرة، وبالمنظور الغربي ذاته صُور هارون الرشيد منحرفا، والعثمانيون غزاة ،وعمر بن العاص محتالا ،والغزاة فاتحين، والأدب الرخيص الماجن تجديدا، والأدب المنحرف عن جادة الدين والأخلاق إبداعا، وهكذا غشي تاريخ الأدب العربي خاصة وتاريخنا عامة ضبابية حالت دون رؤيته على صورته الحقيقية المشرقة [٢] ، وسبب ذلك كله يعود إلى أن تاريخنا ومنه تاريخ الأدب العربي قدم وفسر برؤية غربية معادية متحاملة مفرغة من الموضوعية برغم ادعائها الموضوعية، وغابت عنه الرؤية الإسلامية والوطنية المعبرة عن هويته وكيانه؛ ليصبح تاريخنا أخلاطاً من أوهام المستشرقين والمتأثرين بهم من العرب .ومع تقلب الزمان ومروره، وسيطرة هؤلاء على وسائل الإعلام والمؤسسات الأكاديمية والمراكز البحثية، صارت هذه الأوهام بمنزلة الحقائق التي لا تناقش في ذهن الجيل ؛ فتسللت هذا الأوهام إلى دراساتنا النقدية تحت دعوات خداعة زعمها بعض المستشرقين "من أن الدراسات العربية والإسلامية لا تصح ولا تكون جديرة بالتقدير ومستقيمة على موازين العلم حتى يتجرد كاتبها من عاطفته الدينية والوطنية فينسى أنه عربي حين يكتب تاريخ العرب ، وينسى أنه مسلم حين يكتب تاريخ المسلمين "[٣] وهذه موضوعية زائفة ،ودعوة مشبوه ترمي إلى فصل ذاتنا وعاطفتنا عن تاريخنا ،وزرع الريبة والشك فيه إذ لا يمكن لاحد مهما ادعى الموضوعية ان يكتب تاريخه وهو متجرد من عواطفه وذاتيته كل التجرد، وهل فعل المستشرقون ذلك عندما كتبوا عن تاريخنا فتجردوا من عواطفهم وميولهم الدينية ؟ وهل كتبوا بموضوعتيهم المزعومة عندما درسوا تراثنا ؟!!!! واخيرا بمعيار الموضوعية أيضا- كيف لمستشرق مهما تدرع بالموضوعية وتسلح بالعلم وادعى الحيادية كيف له أن يفسر الغزوات الإسلامية مثلا؟ كيف

[١] إطار إسلامي للفكر المعاصر-أنور الجندي -المكتب الإسلامي-الطبعة الأولى-١٩٨٠-ص٣٢٤

[٢] لا يخلو تاريخ أي أمة وتراثها الإنساني من العيوب ومنه تاريخ أمتنا لكنها لا تعدو شيئا إلى جانب حسناته الإسلام والحضارة الغربية- محمد محمد حسين ٢٧٨

[٣] الإسلام والحضارة الغربية- محمد محمد حسين -دار الرسالة للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية- ط ٩ -١٩٩٣ص ٢٧٨

يقيم جهود الصحابة وصنيعهم ؟ كيف يفهم الدلالات اللغوية والأساليب البيانية والايمانية في خطبهم وأقوالهم؟ ثم كيف يفسر الظواهر الأدبية تفسيرا صحيحا ويربطها بإطارها التاريخي والاجتماعي والجمالي؟

لاشك في أنه سيرجع دوافع تلك الغزوات إلى دواع مادية مرتبطة بالغنائم والسلب، ولاشك أن مقدرته اللغوية المحدودة ستقوده إلى أخطأ في التقييم والحكم، وبالمنطق نفسه سيكون تفسيره للظواهر الأدبية تفسيرا قاصرا ، هذا إذ سلمنا بحيادية هذا المستشرق. هذا كله يقودنا إلى التأكيد على أن النتائج التي يقدمها لنا التاريخ في مجال النقد والأدب أو غيرهما لا يمكن الاطمئنان إليها والتسليم بها ما دام هذا التاريخ في الكثير من خطوطه العريضة مدونا بأنامل غربية ،والمطلوب إعادة النظر في تاريخنا وكتابته برؤية وروح إسلامية عربية . ثم أن تقسيم الأدب الى مراحل زمنية معهودة (– الادب الإسلامي – الأموي –العباسي – أندلسي – عصور متأخرة –حديث –معاصر)فيه إشارة إلى محدودية الإسلام، وقلة تأثيره بوصفه عصرا من تلك العصور، وليس دينا شاملا للكون والحياة يضم في حناياه كل تلك المراحل مهما ضعف فيها الوازع الديني، فالإسلامية لم تغب عن ميدان الحياة منذ أن أشرقت شمسها ،وامتد ضياؤها ، وأن هذا التقسيم التعسفي "يؤكد ما حدث من انفصالية بين الدين والأدب ؛ويؤكد ارتباط الأدب بالسياسة والمذهبية والعنصرية "[1] ويقطع الدولة الإسلامية قطاعات مختلفة، ويبعد الهوية الإسلامية عن الأدب والحياة ويضع محلها هوية العشيرة والقبيلة ،وهذا كله يدفع الدارس دون وعي إلى تتبع الظواهر الطفيفة التي لا تعدو كونها فروقا بين دول وعصور ، وليبني عليها نظرة تطورية معينة ، ويستخلص منها ما يسمونه بمميزات العصر. ومن هنا فالخضوع لهذا المنهج يربط الأدب بأمور سياسية وصراعات مذهبية وفكرية تجعل الذين وضعوا هذه التقسيمات يطبعون الأدب بطابعها ،ومن ثم تتضخم المؤثرات المادية ، وتنطمس في الوقت نفسه المؤثرات الأساسية وهي العقيدة[2] وهذا التفسير المادي للأدب يتفق مع غايات المستشرقين والمبشرين الذين هم في الحقيقة مصدر هذا المنهج ؛ لذا لا يمكن التسليم بهذا المنهج من حيث النتائج والدراسة، والمطلوب كتابة التاريخ الأدبي برؤية إسلامية تستمد منطلقاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية وأثار الصحابة والتابعين ،مع

[1] آفاق الأدب الإسلامي –نجيب الكيلاني –الناشر الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ص-١٩

[2] ينظر: في الأدب الإسلامي دراسة وتطبيق – محمد حسن بريغش –دار الكتب العلمية –بيروت-الطبعة الأولى ص-٦٩

الكشف عن الملامح الإسلامية في كتب التراث الأدبي والنقدي والبلاغي ،ليتم من خلالها عملية تقسيم تاريخ الأدب إلى مراحل تحمل الطابع الإسلامي شكلا ومضمونا.

المصطلح ودلالاته:

صارت المصطلحات والكلمات من أكثر القضايا فعالية وقوة في الخطابات السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية ؛لأنها تحمل في ذاتها قوة اختزالية مكتنزة بالدلالات والمعاني حتى تصير هذه المصطلحات والكلمات تعبيرا عن أشياء متعددة في مفهوم المتلقي ،فبذكر مصطلح معين سيُحيل هذا المصطلح إلى مجموعة من الدلالات ، بما تحمله الكلمة من بعد مجازي وأدبي تختفي وراءه مجموعة من القضايا المتعلقة بهذا المصطلح. وقد نبه القرآن الكريم على أهمية الكلمة والمصطلح وآثرهما، وضرورة تقييدهما وحدهما وضبطهما لما يحملانه من دلالات عميقة ،فعاقب الله تعالى بني إسرائيل ؛لأنهم بدلوا قولا غير الذي قيل لهم {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ } [١] وقال تعالى: {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً } [٢] ووجه المسلمين إلى ضرورة الالتزام بالمصطلح والكلمة عند حديثهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [٣] وقد أنتفع الرسل والأنبياء بما تحمله الكلمة من ترادفات ومعان مشتركة ،فإبراهيم عليه السلام قال عن سارة زوجته إنها أختي. يريد أخوة الدين عندما خاف ملك مصر [٤] ، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم قال نحن من ماء عندما سُئِل عن أصله وهو في طريق الهجرة متجنبا المشركين [٥]، وقد غير النبي صلوات ربي وسلامه عليه الكثير من أسماء الأشخاص والطرق والأماكن ،وكان يرى أن للأسماء دلالات ومعان تتعلق بمسمياتها .ومن المنقول عن أبي بكر رضي الله عنه في هذا

[١] سورة البقرة: الآية ٥٩
[٢] سورة النساء الآية ٤٦
[٣] سورة البقرة الآية ١٠٤
[٤] ينظر البداية والنهاية: ابن كثير –طبعة احياء التراث – ج ١- ص١٧٥
[٥] ينظر: السيرة النبوية لابن هشام –ج١ ص ٢٠٧

السياق عن ثابت ابن أنس قال: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رسول الله يركب وأبو بكر رديفه ،وكان أبو بكر يعرف الطريق لاختلافه إلى الشام فكان يمر بالقوم فيقولون من هذا الذي بين يديك يا أبا بكر فيقول :هاد يهديني أو يقول: دليل يدلني الطريق ،وصدق والله أبو بكر فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو الهادي [١] .وحدثنا الحسن قال: ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الناس، فقال :"إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله عز وجل "قال: فبكى أبو بكر وعجبنا من بكائه أن أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ،وكان أبو بكر أعلمنا به " وكان الصحابة يفهمون الدلالات البعيدة للخطاب التي تحتاج إلى إعمال فكر وذهن وذكاء وقوة استنباط ، ويقلبون الكلمة على وجوهها فيفهمون إلى ما ترمي إليه ،فيروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه فسر قوله تعالى تفسيرا انفرد به على صغر سنه لما نزل قوله تعالى :((إذا جاء نصر الله والفتح))فقال :دنا أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد فقه الغزاة الجدد اثر المصطلح واهمية اللغة فجعلوه جزءا من الحرب النفسية ، ورسموا عن طريقه السياسات، وافتعلوا الأزمات ،فنجد مصطلحا واحدا له تداعيات وآثار تؤدي إلى حروب دولية وصراعات حضارية، وربما تكون سيطرة الغرب على وسائل الإعلام مكنت له سياسة التلاعب بالمصطلحات الذي أسهم في تغييب الحقيقة ، وإيجاد مساحة من الغموض أفادته في تمرير أهدافه ، وتم ذلك كله بإشراف مؤسسات خاصة لصنع القرار وتحرير المصطلحات، وقد تنبه عبد الوهاب المسيري إلى أن هناك مصطلحات كثيرة يستعملها الغرب على نحو صور مجازيه تحمل الكثير من الدلالات، وضرب مثلا بمصطلح "رجل أوربا المريض" الذي كان متواترا في الخطاب السياسي الغربي في أواخر القرن التاسع عشر، والإشارة هنا إلى صورة رجل يحتضر يعالج سكرات الموت هو الدولة العثمانية ، والصورة المجازية المستخدمة تجعلنا ننظر بكثير من الاشمئزاز على أسوأ تقدير وبكثير من الشفقة –دون أدني احترام –على أحسنه ،وننسى تماما أن الدولة العثمانية كانت تحمي شعوبها بالرغم من ضعفها واستبدادها من الهجمة

[١] ينظر : الرحيق المختوم في السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام- صفي الرحمن المبار كفوري—دار الهلال – بيروت ودار الوفاء- ص ٧٨

الاستعمارية الغربية التي عصفت بالعالم بأسره، ننسى أن رجل أوربا لم يكن أوربيا وإنما كان يقف على رأس الشرق الإسلامي زعيما وقائدا له ، ومن الواضح على- حد تعبير المسيري –أن صورة رجل أوربا المريض تعكس منظورا غربيا للقضية بوصف الدولة العثمانية ميراثا ينقسم ويوزع بين القوى الغربية، وصورة الرجل المريض أيضا تحمل طبيعة ازدواجية تخفي من ورائه الصورة المضادة للرجل الأوربي النهم المفترس [١] ووفق المنطق ذاته فأنهم يعبرون عن الدول العربية والإسلامية والمشرق العربي بمصطلح دول المنطقة ؛ليسلبوها البعد التاريخي والديني والحضاري ؛لإدراكهم أن هذا المصطلح الجديد مفرغ دينيا وحضاريا .ولازالت بعض الأقلام العربية ووسائل الإعلام والمؤسسات التربوية والثقافية تردد ما ابتدعه المستشرقون من مصطلحات ومفاهيم ومعلومات من غير روية وتأمل ، بل أنهم راحوا يؤكدون صحة أخبارهم اعتمادا على نتائج العقل الغربي الذي لم يتخل يوما عن حسه الديني النصراني واليهودي وهو يكتب عن تاريخ الأمة وعلومها وأخبارها، وكانت النتيجة جملة من الأخطاء التاريخية والدينية والمعرفية التي شوهت عقل الإنسان العربي ، والتي حمل لواءها بعض من الكتاب العرب ممن تأثروا بالفكر الاستشرافي وغرفوا من مائه المكدر ، وراحوا يقتفون خطى المستشرقين حذو القذة بالقذة غير مكترثين لما تنطوي عليه من أبعاد ودلالات خطيرة، وكأنها أقدار ارتضوها وأمور صبروا عليها ولا يرجون عنها تحويلا ولا تبديلا ،فصار من المسلمات عندهم مثلا أن الإنسان أصله قرد ، وأن الدولة العثمانية دولة استعمارية تكيد للعروبة والإسلام، وأن الحملة الفرنسية على مصر كانت خيرا لهذه البلاد، وأن ما وقع بين الصحابة من اقتتال فيما بعد كان هدفه المال والسلطة ، وأن الدولة الأموية قامت على خديعة ودهاء عمرو بن العاص في قضية التحكيم المشهورة، وأن مجلس الرشيد والخلفاء العباسيين عامة محض غناء وغانية ولهو وشراب. وذلك كله قائم على التحكم بالمصطلحات ودلالتها

الشكل والمضمون:

سادت في الادب نظريات ونظرات كثيرة من بينها نظريتان :نظرية الفن للفن والفن للمجتمع، تجنح الأولى إلى اعتبار الفن هدفا بذاته وتتنصل من كل

[١] اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود- عبد الوهاب المسيري—دار الشروق-القاهرة-الطبعة الثانية-٢٠٠٦-ص٧٩

التزام مضموني ،والاخرى جعلت من نفسها وصية على الابداع وفرضت عليه قيودا واغلالا ،وحجمت الذات المبدعة ايما تحجيم ،ولسنا هنا بصدد شرح النظريتين وتباين اطرهما النظرية بقدر ما نريد ان نبين موقف الرؤية الاسلامية من الأدب ومن قضية الشكل والمضمون ، ومن الواضح ان وسطية الاسلام تتجلى في هذه القضية كما هو موقفه من مجمل القضايا الأخرى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ...} [١] فالرؤية الاسلامية تقف بين النظريتين بتواز تام، فليس الغرض أن يعلو كعب المضمون ويضمر الشكل ،ولا أن يأتي بأشكال لا روح فيها ولا هداف ولا غايات ،فالأدب المبدع هو ما يلتقي فيه الشكل بالمضمون ليتولى كل منهما بأداء ادب يرتقي بالذوق والفكر والوجدان . فجمالية التعبير هي الجسر الذي تمر عليه المعاني بخفة مريحة مهما كانت اوزانها ثقيلة حتى يحار القارئ والناقد ايهما سلب لبه واغرى فضوله واثار وجدانه الشكل ام المضمون، فالجمالية مطلب مهم في الكتابة فمهما سمت المضامين وارتفع سقف الاهداف ان لم تؤد على نحو فني فإنها تظل تسبح في بحر خارج بحر الابداع المتلاطم .

الخاتمة والنتائج:

ليس من اليسير على الباحث ذكر نتائج بحثه كلها ولكن يمكن ان نوجز بعضها :

- ✓ إن الرؤية النقدية الاسلامية لا تمارس نقدا اخلاقيا او دينيا ،فالنقد الحق هو الذي يجتمع فيه الشكل والمضمون معا فهما لحمة النص وسداه فلا يوجد وفق الرؤية الاسلامية ناقد للمضمون واخر للشكل ، فالأول فقيه والثاني لغوي ،فالنقد وفق الرؤية الاسلامية هو الحكم على النصوص الأدبية جماليا وفنيا بأدوات النقد المختلفة وفق قواعد التصور الاسلامي.
- ✓ من المنظور الإسلامي يمكن اجتراح مصادر للنقد الادبي يمكن اجمالها بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ، والتراث النقدي العربي الإسلامي ومقالات الإسلاميين ، والجهود النقدية العالمية التي تتفق مع الفكر والتصور الإسلامي

[١] سورة البقرة: الآية ١٤٣

- ✓ إن موقف الرؤية الإسلامية من النظريات والمناهج النقدية الغربية موقف اصطفاء واختيار ، ، أنه ليس موقف القبول المطلق ولا الرفض المطلق ، ففي هذه المناهج بعض ما يصلح لنا ، وفيها الكثير الكثير مما يفسد الذوق والفكر ، ويتناقض مع تصوراتنا الإسلامية ، ونظرتنا إلى الحياة والإنسان والكون
- ✓ ان المنظور الاسلامي لا يرى ثمة تعارض بين الدين والاخلاق والادب وما ورد من نصوص في التراث تشير الى هذا التعارض يرجع الى ان هذه النصوص لم توضع في سياقها لتاريخي الذي قيلت فيه وهي مبتور وجزيئة، إذ لم يتخل النقد عبر مسيرته الطويلة عن التصور الاسلامي.
- ✓ يمكن نعد القرآن الكريم مصدرا من مصادر النقد الادبي ، بشرط أن نحسن التعامل معه بوصفه كتابا مقدسا يحتج به لا عليه، مع ضرورة التوسع في دائرة الاجتهاد في عملية استنباط الأحكام النقدية من النصوص القرآنية ، فليس بالضرورة أن ينص القرآن الكريم إلى مثل هذه القضايا على نحو صريح ؛ لأنه غير معني بالجزئيات شأنها شأن الكثير من المسائل الفقيه والشرعية المستنبطة. •
- ✓ أن موقف الصحابة يعد امتدادا لموقف القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم من الشعر ووظيفته ، وهو موقف متصل ثابت ، غير متناقض مما يبشر بأسس راسخة للنظرية النقدية المأمولة ويسمها بالوحدة والشمول .
- ✓ يعد التراث النقدي العربي –في منظور الرؤية الإسلامية – أصلا متينا من أصول النقد الإسلامي المقترح، لأن النقاد الأوائل لم يستبعدوا النظرة الإسلامية عن أحكامهم النقدية ، وكان منهم القاضي والمحدث والفقيه ، ثم أن النقد الأدبي ذاته انبثق من الدرس البلاغي القرآني ومن كتب الإعجاز إذ لم تكن هذه العلوم مفصولة بعضها عن بعض .
- ✓ قدم النقاد الاسلاميون المعاصرون جهودا متميزة يمكن ان تكون نبعا مهما يرفد الرؤية الإسلامية النقدية ، بيد أن هذه الجهود غالبا ما كانت تصدر عن رؤية فردية خاضعة لردود الأفعال أمام ما يطرح من نتاج على الساحة الأدبية العربية ، كما أن هذا الجهد النقدي المخلص كان يفتقد إلى المرجعية الشرعية والمرجعية الأدبية المتخصصة وكان يصدر في جو من الحماس الفردي والتصور المحدود الذي منعهم من

الالتفات كثيرا إلى المصادر الشرعية والتراثية في عملية استخراج المنهج النقدي الإسلامي ، وبالرغم من هذه الملاحظات فأن هذه الجهود جهود متميزة مباركة، وعتبة مهمة لا يمكن تجاوزها لمن يريد تأصيل رؤية نقدية إسلامية ؛ لأنها أينعت ثمارا طيبة ، وقد جُمِع قسما منها بين دفتي كتاب تحت عنوان مقالات الاسلاميين في الأدب والنقد ، فضلا عن جهود رابطة الأدب الاسلامي وما يصدر عنها من مجلات ومطبوعات.

- ✓ لقد تم فحص جملة من القضايا النقدية من منظور اسلامي فبدا موقف الاسلام موقفا متوازنا ومنطقيا حيال هذه القضايا ،فالرؤية الاسلامية مثلا تقف من قضية الشكل والمضمون بتواز تام فليس الغرض ان يعلو كعب المضمون ويضمر الشكل ، فالجمالية مطلب مهم في الكتابة فمهما سمت المضامين وارتفع سقف الاهداف ان لم تؤد على نحو فني فإنها تظل تسبح في بحر خارج بحر الابداع المتلاطم .

المصدر والمراجع

القرآن الكريم

- ❖ أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي – محمد زغلول سلام- مطبعة المعارف المصرية- القاهرة –الطبعة الأولى.
- ❖ أخبار أبي تمام –الصولي ، تحقيق: خليل عساكر وأخرون- المكتب التجاري- بيروت
- ❖ الادب الاسلامي اصوله وسماته—محمد حسين بريغش –مؤسسة الرسالة بيروت –دمشق-الطبعة الثانية ١٤١٦هـ- ١٩٩٦
- ❖ أسس الجمالية في النقد العربي- د:عز الدين إسماعيل عرض وتفسير ومقارنة- دار الفكر العربي-الطبعة الثالثة- ١٩٧٤
- ❖ الإسلام والحضارة الغربية- محمد محمد حسين -دار الرسالة للنشر والتوزيع-المملكة العربية السعودية-الطبعة التاسعة-١٩٩٣
- ❖ آفاق الأدب الإسلامي –نجيب الكيلاني –الناشر الشركة المتحدة للنشر والتوزيع
- ❖ إطار إسلامي للفكر المعاصر-أنور الجندي -المكتب الإسلامي- الطبعة الأولى-١٩٨٠

- الأغاني- لأبي فرج الأصفهاني–دار الثقافة- بيروت
- البداية والنهاية: ابن كثير –طبعة احياء التراث – ج ١-
- البيان والتبين ـــ الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق: عبد السلام محمد هارون- الناشر مكتبة الخانجي القاهرة
- تهذيب الآثار المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا- الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (٨٣٦)
- خصائص القصة الاسلامية –تأليف :الدكتور: مأمون فريز جرار – دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة -الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- الرحيق المختوم في السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام- صفي الرحمن المبار كفوري—دار الهلال – بيروت ودار الوفاء.
- سنن ابي داود: للحافظ أبي داود ابن الأشعث الأسدي-دار الكتب الحديثة القاهرة كتاب الآداب باب ما جاء في الشعر
- سنن الدار قطني سنن الدار قطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤
- السيرة النبوية-ابن هشام-أبو محمد عبد الملك بن هشام٢١٨هـ تحقيق مصطفى السقا وأخرون- مصطفى البابي الحلبي-١٩٣٦
- صحيح البخاري- البخاري ٢٥٦هـ-الطبعة الأولى مطابع الشعب القاهرة-١٩٥٩ (٥٨٠٩)كتاب الآداب
- العقد الفريد- أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه-شرحه وضبطه وعنون موضوعاته : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري- مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة- القاهرة-الطبعة الثانية-١٩٥٦

- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري العيني ، ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بدر الدين العيني(ت ٨٥٥هـ) –الناشر دار احياء التراث العربي –بيروت
- في الأدب الإسلامي دراسة وتطبيق – محمد حسن بريغش –دار الكتب العلمية –بيروت-الطبعة الأولى .
- القاضي الجرجاني الاديب الناقد –د. محمد السمرة – المكتب التجاري بيروت الطبعة الثانية – ١٩٧٩
- اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود- عبد الوهاب المسيري—دار الشروق-القاهرة-الطبعة الثانية-٢٠٠٦
- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي– د:عماد الدين خليل-دار ابن كثير-دمشق-بيروت-الطبعة الأولى٢٠٠٦
- مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي – عباس المناصرة-مؤسسة الرسالة-دار البشير-الطبعة الأولى ١٩٨٧
- المذاهب الأدبية الغربية –وليد القصاب– مؤسسة الرسالة –بيروت-لبنان الطبعة الأولى
- مسند أحمد بن حنبل - مسند الشاميين -حديث شداد بن أوس - حديث:١٦٨٣٠
- مقالات الإسلاميين في الأدب والنقد -أحمد الرافعي شرفي- دار ابن حزم- بيروت –لبنان - الطبعة الأولى- ٢٠٠٩-
- الموازنة بين الطائيين –الآمدي-تحقيق أحمد صقر-دار المعارف القاهرة ط٢ -١٩٧٤
- الموشح- أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني - تحقيق: علي محمد البجاوي- دار النهضة بمصر-القاهرة ١٩٦٥
- المنهج الإسلامي في النقد الأدبي –سيد سيد عبد الرزاق – دار الفكر المعاصر- بيروت، دمشق-الطبعة الأولى ٢٠٠٢
- الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ)تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي-الناشر:–دار احياء التراث ط الثالثة
- نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي-الدكتور عبد العظيم محمد الديب- دار البشير –عمان –الأردن-١٩٩٣

- النقد الأخلاقي أصوله وتطبيقاته- نجوى صابر- دار العلوم العربية بيروت- لبنان –الطبعة الأولى ١٩٩٠
- نظرية النقد الأدبي وتطورها إلى عصرنا- محي الدين صبحي- الدار العربية للكتاب –ليبيا – تونس١٩٨٤
- الرسائل والإطاريح:
- أراء رابطة الأدب الاسلامي العالمية في الادب والنقد دراسة وتقويم- كمال احمد فالح مقابلة- اشراف: ا.د شكري عزيز الماضي –جامعة ال البيت –كلية الآداب والعلوم –قسم اللغة الغربية
- الدوريات:
- الخطاب الأدبي في القرآن الكريم والسؤال الغائب) عباس المناصرة مجلة البيان العدد ٢٠٩ السنة ٢٠٠٥